Journal of the University of Babylon for Humanities مَجلّةُ جَامعةِ بَابِل للعُلومِ الإنسَانيّة
Vol.33/ No.12/ 2025 المجلد ٣٣ / العدد ١٢/ ٢٠٢٥

المرجعيات الشعرية في نصوص الفقهاء الشعراء حتى نهاية العصر العباسي

ورود جبار محمد
المديرية العامة لتربية بابل
hum797.wrwd.jabar@student.uobabylon.edu.iq

هناء جواد عبد السادة
قسم اللغة العربية / العلوم الإنسانية / جامعة بابل

تاريخ استلام البحث: ٢٠٢٥/٩/١٦ **تاريخ قبول النشر:** ٢٠٢٥/٩/٢٨ **تاريخ نشر البحث:** ٢٠٢٥/١٢/٢١

المستخلص

يعدُّ مفهوم المرجعية الأدبية من المفاهيم الهامة التي تستعينُ بتحليل مكونات النصوص وتفكيكها، وغالبا ما ترتبط بحقل اللسانيات والسيمياء وعلم الدلالة. حيث يَلجأُ القارئ إلى الاستناد على الوظيفة المرجعية للغة؛ لفك شفرات النص ومعرفة ما تحيل إليه علاماته. فمهما كان الأديبُ صاحبَ خيالٍ مبتكر فعال ومتجدد فلا بدّ منْ أن يَخضعَ إلى مرجعيةٍ تعبرُ عن رؤياه وتساهمُ في بناء نصه، لذلك عُدتْ علاماتٌ مُضيئة تَمنح القارئ أذن الدخول إلى عالم النص وتُزيح الستار عن تراكمات الأديب الذهنية ومنابعه الفلسفية واتجاهاته الفكرية.

وتهدفُ الدراسة إلى الكشف عن المرجعيات الشعرية في شعر الفقهاء من العصر الإسلامي حتى نهاية العصر العباسي، إذ استندَ شعرهم على مرجعياتٍ كثيرة ومتنوعة ومنها المرجعية الشعرية. واستطاعوا بث رسائل دينية وقيم اخلاقية بين طيات شعرهم.

واستَوجبتْ الدراسة الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي، إذ ساهمَ تحليلُ النصوص في الكشف عن المرجعية الشعرية التي كانَ لها مشاركةٌ في اشعارهم بالتصريح والتلميح فتداخلت نصوصهم الأدبية مع نصوص أُخرى قديمة ومعاصرة. أفصَحتْ عن إعجابهم بالتراث وتوافقه مع تجاربهم بالحياة وحققوا عبرهُ دوافع تعذرَ عليهم البوحَ بها فلجأوا إلى ترميزها. وسواءٌ كانت غايتهُم من ذلك إثبات قدرتهم على صقل معانٍ ومبانٍ قديمة في قوالب لغوية جديدة أم كان دافعهم التَميز أم لشعورهم بالمسؤولية تجاه مجتمعاتهم وإيمانهم بأهمية الشعر في نشر مبادئ وقيم إسلامية وأخلاقية في المجتمع، بوصفه يحظى بمقبولية واسعة فعلى اختلاف الدوافع والأسباب فأن توظيفهم للتراث الأدبي الشعري أغنى تجربتهم الشعرية وخلقَ حالة من التواصل بينَ الماضي والحاضر.

الكلمات الدالة: المرجعيات الشعرية، شعر الفقهاء، التراث، تحليل النص.

Poetic Authorities in the Poet Jurists' Texts until the End of the Abbasid Era

Worod Jabbar Muhammad
General Directorate of Education in Babylon.

Hanaa Jawad Abdul-Sada
Department of Arabic Language- Humanities- University of Babylon .

Abstract

The concept of Poetic Authorities is an important concept that relies on the analysis and deconstruction of textual components. It is often associated with the fields of linguistics, semiotics, and semantics. Readers rely on the referential function of language to decode the text and understand what its symbols refer to. No matter how creative, effective, and innovative a writer's imagination may be, they must be guided by a reference that expresses their vision and contributes to the construction of their text. Therefore, they are considered illuminating signs that grant the reader permission to enter the world of the

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

text and reveal the writer's mental accumulations, philosophical sources, and intellectual orientations. The study aims to uncover the Poetic Authorities in the poetry of jurists، as their poetry relied on many and varied references, including poetic ones. They were able to convey religious messages and moral values throughout their poetry. The study required relying on the descriptive and analytical approach, as the analysis of the texts contributed to revealing the literary references that had contributed to their poetry, both explicitly and implicitly, as their literary texts overlapped with other ancient and contemporary texts. It revealed their admiration for heritage and its compatibility with their life experiences, or that they achieved through it motives that they were unable to express, so they resorted to encoding them. Whether their goal was to prove their ability to refine ancient meanings and structures in new linguistic molds? Or was their motivation to stand out? Or was it their sense of responsibility towards their communities and their belief in the importance of poetry in disseminating Islamic and moral principles and values in society, given its wide acceptance? Despite the differences in motives and reasons, their use of the poetic literary heritage enriched their poetic experience and created a state of communication between the past and the present.

Keywords: Poetic Authorities، Jurists' Poetry، Heritage، Text Analysis

المقدمة

حفظ لنا التاريخ العربي الإسلامي سير لشخصيات فذّه من الشعراء الفقهاء وأشاد بأثرهم في رفد الثقافة العربية بنتاجهم الذي تداخل بين الإبداع الشعري والفكر الديني وجعلوا منه أداة فاعلة في التعليم والتوجيه مع ما يحمله من لمسه فنية وإبداعية. ويعد الكشفَ عن المرجعيات ودراستها من المواضيع المهمة التي تمكننا من إزاحة الستار عن ثقافة الشاعر ومنابع آدابه وعلومه لذا فهو إجراء يمكن تطبيقه على مختلف أنواع الإبداع الشعري القديم والحديث وكما تبين لنا مدى التفاعل والتداخل بين خطابه وخطاب الآخر سواء كان (دينيا أم أدبيا أم تاريخيا أم سياسيا...) فنصبح أمام مرجعيات متنوعة نابعة من الثقافة الواسعة والتجارب الحية والصلة القوية بالمجتمع، وأنها تعد أيضا ترجمة للأفكار وانعكاس للرؤيا واستنطاق للمسكوت عنه. فلا تَخلو النصوص الأدبية التي تُكتب بمعايير فنيةٍ وجماليةٍ أدبية من مرجعيات فكرية، ومعرفية دينية وأدبية، وتاريخية، سياسية، فلسفية وغيرها من المرجعياتِ التي تحظى بأهميةٍ لكونها الأصل الذي يَنطلقُ منه النص. وتتعدد مصادر المرجعيات وتتنوع فُروعها واحيانا يميلُ البعض إلى مرجعياتٍ من دون أخرى. لتكون سمةً أسلوبية بارزه في نصوصهِ تميزهُ عن غيرهِ من المبدعين.

١,١.خلفية البحث: تصدى مجموعة من الباحثين لدراسة شعر الفقهاء وخاضوا في فنونهم الشعرية وأغراضهم المتنوعة وأساليبهم البلاغية وصورهم ولغتهم واخيلتهم وأثبتوا عبرها شاعريتهم ورقة ذوقهم وصدق إحساسهم وتمكنهم من أغراض الشعر المختلفة ولكن لم يتطرق أحد منهم إلى دراسة مرجعيا ت شعرهم فواصلت جهد من سبقني في دراسة شعر الفقهاء وسلطت الضوء على- مرجعياتهم الشعرية- للفت أنظار الدارسين والباحثين إلى أهمية هذا الشعر .ومن هذه الدراسات (شعر الفقهاء في العصر الأموي -دراسة موضوعية فنية) للباحثة(سهام كاظم جابر) جامعة الكوفة -كلية الآداب، ٢٠٠٠. إذ بينت الباحثة الأغراض الشعرية المتنوعة لشعر الفقهاء في العصر الأموي والجوانب الفنية فيها. و(الأساليب البلاغية في شعر الفقهاء والنساك) في العصر الأموي

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

للباحثة(فاطمة كريم داود)جامعة واسط ٢٠١٩. إذ تناولت الباحثة مجموعة من الأساليب البلاغية التي استند عليها الفقهاء في شعرهم بالإضافة إلى مجموعة من الكتب والبحوث التي تداولت شعر الفقهاء بالدراسة والتمحيص.

١,٢.منهج البحث: تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي–التحليلي حيث ساعد في الكشف عن المرجعية الأدبية –الشعرية – عبر تحليل النصوص وكشف خباياه.

١,٣.أهمية البحث: اشتهر الشعراء الفقهاء بحملهم هوية مزدوجة بالفقه والأدب. وربطوا بين العلوم التشريعية والأنساق الإبداعية الشعرية فتراوح شعرهم بين محراب الفقه ومنصة الإبداع فلم يكن الفقه حاجزا يمنعهم عن التعبير عن عواطفهم وإبداء آراءهم والتصريح عن تجاربهم بعاطفة صادقة وبناء شعري رصين مُكتنز الدلالات. وتسعى الدراسة إلى تسليط الضوء عن ابرز المرجعيات الشعرية التي ساهمت في بناء نصوصهم الشعرية.

٢.الإطار النظري

١,٢.مفهوم المرجعية: تنوعتْ المفاهيمُ اللفظية والمدلولات المُعجمية والاصطلاحية لمفهوم المرجعية فأصبحَ من الصَّعب الاتفاق على معنى معين، خاصة بعد رواج المصطلح المُستحدث وتشعُب استعمالاته. حيث تُمثل المرجعية فكرا مُمتدا وفاعلا وقاعدة أساسية في تشكل الحاضر وإبداعاته، والأصل الثابت الذي ينطلقُ منهُ الأديب ويعودُ إليه.

وتنبه النقاد العرب القدماء الى اهمية المرجعية ودورها وعرفت بتسميات مختلفة (كالتضمين والسرقة والاحتذاء والأخذ) وبينوا بأن النص المنتج هو وليد ثقافة تراكمية وأشار الجاحظ إلى "أن المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي، والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير"[١،ص٦٧].

ويذكر ابن الاثير أن " المعاني مشتركة، وإنما تفاضل الناس في وجوه الألفاظ وصحة السبك وصواب التأليف. فربما وقع للشاعر معنى قد سبقه إليه غيره، فلا يضره ذلك إذا جاء بألفاظ تباين الفاظ الأول وتفوقها"[٢، ص٣٤٩].

ونَجد لها في المعاجم الحديثة تعريفا لسانيا وأدبيا. فالتعريفُ اللساني يرتكز على نظرية (دي سوسير) عندما عد اللغة حاملة لنظام اشاري وعلامات لغوية وعلاقات بين الدال والمدلول. وتستند أيضا إلى وظائف اللغة التي ذكرها رومان جاكبسون في معرض حديثه عن العلامات اللغوية التي تحملها الألفاظ، وكيف تكتسبُ قيمتَها مما تَحولُ وتَرجع له. وأشارَ إلى أهمية الوظيفة المرجعية، والتي عدها" اساسُ كلِّ تواصل فهي تُحدد العلاقات بين المُرسل والشيء أو الغَرض الذي تَرجع إليه، ومن أكثر وظائف اللغة أهمية في عملية التواصل" [٣،ص٦٧].

وفي حقل الأدب تتكونُ المرجعيةُ من مجموعة وسائل وادوات، وأشار رولان بارت إلى أنها تكتسبُ قيمتَها من اندماج وعي القارئ مع الكاتب في عملية تواصلية مقاربة للشفرة الإحالية. لذلك أنَّ وظيفتها توجيه القارئ

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

نحوَ المَعنى الكامنُ خارجَ النص المُساهم في تكوينِ النص الجَديد فهي "اي نِظام رَمزي يتفقُ عليه المُرسل والمُستقبل للدلالة على الأشياءِ والمعاني، فالشفرةِ تتكونُ من النظامِ الصوتي للكلامِ المَنطوق أو النِظام المَرئي للكلامِ المكتُوب" [٤:ص٢٧-٢٨].

ويَرى ريفاتير أنَّ المرجعيةَ تحملُ بُعد جَمالي وقيمة واقعية، وأنَّها ترتكزُ بشكلٍ أساسي على الإمكاناتِ الذهنيةِ والمعرفيةِ للقارئ التي تُمكنُه من اكتشافِ مَكنُوناتِ النص. ومن ثم فكُلما " زادتْ رُقعةُ الثقافةِ والمعرفةِ والاطلاع زادتْ الحصيلةُ الإنتاجية الجديدة للنص من القارئ، وبالعكس، كُلما كانَ القارئُ متواضعا تواضَعت معهُ فُرص امكانية قراءة انتاجيةٍ جديدةٍ للنص"[٥:ص٨٨].

ويربطُ (بول ريكور) بينَ مرجعيةِ النص والقارئ، ويُكلفُ الأخير اكتشاف مُضمراتِ النص ودلالاته لكون المرجعيةِ أشبه بالجسرِ بينَ القارئ والمُبدع تمتدُ إلى عصورٍ سالفة، ويستعانُ بها في عصورٍ لاحقة لتداخلِ أثرها عبرَ الزمن. فما هي إلا " رواسب تراثية قابلة للاستعارةِ في كلِّ زمانٍ ومكان ..... وليظلَّ النَص وليدَ حُقبٍ متواصلة ومُتعاقبة من التَطور. تعكسُ تفاعُل الإنسان مَعها بأشكالٍ متفاوتةٍ ومتعددة"[٦:ص١٧١].

ويلمحُ الجابري تقاربٌ بينَ مفهومِ التراثِ والمرجعيةِ فلا يُمكن إغفال أثر التراثِ بأيِّ شكلٍ من الأشكال. فهو يحملُ بذورَ الوعي الأولى ومرحلةٌ مهمةٌ من مراحلِ الفكر العربي التي نَمت وتطورت في ظروفٍ اقتضت التَحول والتَحرر. وبالرغمِ من أنَّ البَعض وجدهُ مانعا للانطلاقِ والتجدد، إلا أنَّ الكثيرين وجدُوا بهِ المُرتكز الحقيقي. فيرى أن" الموروث هو الذي يُغذي عوائق التقدمَ والإبداع في الفكرِ العربي، وأنَّ عمليةَ التفكيرِ لا تتُم إلا داخلَ ثقافةٍ معينه أو بواسطتها؛ أي من خلالِ منظومةٍ مرجعيةٍ تُشكل إحداثياتُها الأساسية من مُحدداتٍ ومكوناتٍ في مقدمتُها الموروث الثقافي، والمحيطُ الاجتماعي، والنظرةِ إلى المستقبل"[٧:ص١١٠].

وتعتقدُ فتحية كحلوش "أنَّ المرجعيةَ تُثيرُ بُعدين في الذهن: الأول يُوحي بالقوةِ والانتماء حيث أنَّه يستندُ إلى ركيزةٍ قوية. والآخر يُوحي بالتسلطِ والتوجيهِ القسري، فلا يُمكن التفكيرُ خارجَ اطارِ تلك المرجعية. لذلك نَراها تتحكمُ أحيانا في توجهاتِ الفرد وطريقةِ تفكيره، وذلك لارتباطها بسلطةِ الأنساقِ الثقافيةِ والاجتماعيةِ والسياسيةِ والدينيةِ الفاعلة في ذواتِ الناس"[٨:ص٢١٧].

وصرحَ الأدباءُ والنقادُ بضرورةِ استيعاب التُراث والاستعانة بهِ. خاصةً في المراحلِ الأولى من قولِ الشعر. فلا يمكن أن يظهرَ الشعر من فراغٍ، بل لابد من أن يكونَ الشاعر حافظا وراويا لكثيرٍ من شعرِ السابقين، وهذا ما ذكره ابن خلدون في مقدمتهِ فيقول " واجتنابُ الشعر اولا بمن لم يكن له محفوظ، ثم بعد الامتلاءِ من الحفظِ، وشحذ القريحة للنسجِ على المنوالِ، يُقبلُ على النظمِ، وبالإكثارِ منه تتحكم ملكته وترسخ ...ثم نسيان ذلك المحفوظِ ومحي رسومه الحرفية الظاهرة فإذا نسيها، وقد تكيفت النفس بها، وانتعشَ الأسلوب فيها كأنه منوالٌ يؤخذ بالنسجِ عليه بأمثالهِ من كلمات اخرى" [٩:ص٥٧٤].

ولأهميةِ التراث في العملِ الأدبي فسنتجه في هذا البحث إلى دراسة المرجعية الأدبية الشعرية في شعرِ الفقهاء. إذ شكلتْ حضورا فاعلا مرجعياً ومرحليا، مباشر وغير مباشر. عبرَ الصور والأفكار والمعاني والأسلوب وبدافع التجديد لا التقليد. ولتكون غايتنا الكشف عن اشكالِ توظيفهم لها ومقدارِ انتفاعهم منها باستعمالِ معطياتها فنيا ودلاليا.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

٢,٢.مرجعية الشعر: يمثلُ النص الشعري المرجع الثقافي الهام من بعدِ الخطاب الديني. فكثيرا ما استعانَ الشعراء بقصائدِ السلف وأعادوا تصنيعها وصياغتها وحققوا عبرها غايات ودوافع. فانطلقت الشرارة الأولى للإبداع الشعري من العصرِ الجاهلي فعدَّ الجذر الفاعل للأدب العربي، بشعرهِ ونثره. ثم شهدت الحياة الأدبية بفضلِ التوسع المكاني والزماني ودخول ثقافات الأمم الأخرى تطورا ملحوظا، ساعدَ على نبوغِ وتطور علمي وأدبي ساهم في إثراءِ المخزون الثقافي للشعراء. فتعددتْ مواهبهم وتنوعت تجاربهم وتلونت صورهم.

فالتراثُ الشعري: "سيطرة لا يكادُ يفلتُ منها أي شاعر، والشاعر عليهِ أن يفهم التراث وأن يعيه حتى يتغلغلَ في نفسهِ، بحيث يُصبحُ جزءً من تكوينه، يستطيع من بعدهِ أن يصلَ إلى أسلوبه الخاص، والشاعر من هذا المستوى، يتجاوز التراث عادةً فيضيفُ إليه جديدا أوقد لا يأوي إلى ظلهِ، بل يخرج إلى باحةِ التجربة الواسعة"[١٠:ص١٨-١٩]

ولكلِّ شاعر لغته الشعرية الخاصة بهِ التي يُعبر بها عما يجولُ في خاطرهِ، وعبرَها تصل رسالته وتبرزُ براعته، وتفهَم نظرته. "فاللغة الشعرية لغةٌ تجتذبُ النفوس إليها، وتسحرها، لأنَّ النفوسَ في جوهرها ترتاحُ للجديد، وللمبتكرِ، وللغريب، وللطريفِ، ولكل شيء تشاهده في زي غير الذي تعهده به"[١١:ص٣٦٦].

٣,٢.الأداء بألفاظ ومعاني الموروث عبر العصور: لقد ارتبط شعر الفقهاء بالموروثِ الأدبي فذهبوا ينهلون منه ويحاكونه حتى اطلقوا على هؤلاء الشعراء الذين أرفد شعره بالموروث بالشاعر البارع هو "الذي يستطيعُ أن يبعثَ الحياة من جديد في الفاظٍ هي على وشكِ الاندثار أو الموت. ويتأتى له هذا من حساسيتهِ الخاصة إزاء المفردة الموروثة، وتكمنُ بعض أهمية عمله في قدرتهِ على إكسابِ تلك المفردات إيحاءات جديدة، وظلالا جديد، تنبثق من الحالةِ النفسيةِ أو الضرورة الموضوعية للعملِ الشعري".[١٢:ص١٩٤]

فتعالق الشعراءُ الفقهاء مع مجموعةٍ من النصوصِ الشعريةِ عبر العصور الجاهلية والإسلامية والأموية والعباسية. وعبرت نصوصهم عن مخزونهم الأدبي والثقافي وبموهبتهم الفنية احتفظت النصوصُ بقيمتها الجمالية، واكتسبت دلالات مبتكره. لذلك تنوعت مظاهرُ التوظيف الشعري في شعرِ الفقهاء فتارةً يضمنُ الشاعر البيت أو جزءا منه وتارة يوظفُ معناه.

٣. شعراء ما قبل الإسلام:

يلحظ المتأملَ في شعرِ الفقهاء حضورا واضحا لشعرِ ما قبل الإسلام، فيمثل شعرهم الرافد الذي نهلَ منه الشعراء على اختلافِ زمانهم ومكانهم. فلا يخلو شعر عصرٍ من العصور منه، فاستحضر الشعراء أفكارَهم وحاكوا صُورهم، واستعانُوا بقوالبِهم. فدلت على ثقافتهم الواسعة بأدب ذلك العصر، وأفصحتْ عن "مشربِ الأديب واتجاهه النفسي وتكوينه الأدبي وقوامه الثقافي، وتأثره بشخصية الأديب الذي يستوحيه فيصاحبه في تيارهِ ويسير معه في فلكه".[١٣:ص١٢٧]

فاستعانوا بأشعارِ ذلك العصر في مبناها ومعناها وتعددت أساليبهم في النقل منها ومن ذلك:

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

١,٣.النقل المباشر من شعراء ما قبل الإسلام.

ويرادُ به "أنَّ يستعينَ الشاعرُ بكاملِ البيت الشعري، أو جزءا منه(الصدر أو العجز) دونَ تحوير أو تغيير"[١٤:ص١٣٨]. فلم يمنع الفارق الزمني بينَ الماضي والحاضر من تماثلِ الألفاظ وتشابه الأفكار والقضايا وتقارب الرؤى الشعرية. فامتدت الكثيرُ من الظواهرِ التي ورثها الشعراء من العصرِ الجاهلي، وظلَّ حضورُها دائما ومنها: (الطلل التراثي) بما يحملُه من خواصٍ تعبيرية ودلالية وجدَّ فيه الشعراء الفقهاء خيرَ من يمثل حالتهم النفسية، وينقل تجربتهم الشعورية خاصة في وصفِ مشاعر الحب والهجر والفراق. وأنَّ حضور الطلل يضمنُ للقصيدةِ الاستمرارية والديمومة والامتداد.

فالفقيه عروة بن أذينه *لم يكن بعيدا عن تلكَ الافكارِ والصور فقد استوحى فكرة البكاء على ديارِ الأحبة، والوقف على رسومها كما وقف امرؤ القيس عليها بقوله :[١٥:ص٨] (الطويل)

قفا نَبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ بسقطِ اللوى بينَ الدخولِ فحَومل
فَتوضعَ فالمقراةِ لَم يَعفُ رَسمهَا لما نسجَتهَا من جنوبٍ وشمألِ
تَرى بعرَ الآرامِ في عرصاتِهَا وَقيعانها كَأنهُ حَبُ فلفلِ

يستعينُ عروة بالمقدمةِ الطللية وينقلها بصورةٍ مباشرة فيقول:[١٦:ص٨٩] (الطويل)

قِفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ وعرفانِ ورسمٍ عَفت آياتِه منذُ أزمانِ
أَتت حججٌ بعدي عَليها فأَصبَحت كخطِ زبورٍ في مصَاحفِ رُهبانِ
ذَكرت بها الحَي الجَميع فهَيجتْ عَقابيلِ سقمٍ من ضميرٍ وأَشجانِ

تستدعي الأبيات مقدمةَ امرئ القيس الطللية عبر أسلوب الطلب الوارد في النصِ (قفا) وهو تقليدٌ جاهلي لدعوةِ الأصحابِ للوقوفِ وتذكر المحبوبة، والبكاء على ما بقى من ديارِها من رسومٍ واثار. والتي شبهها الشاعر بخطِ الزبور في مصاحفِ الرهبان، التي لقدمها لم يبق سوى أثرها الذي يصعُب قراءته. وقد ساهمت وقفةُ الطلل في بناءِ النص الشعري ومنحتهُ حياة جديدة تخص الحاضرَ لا الغائب. لتكون قساوةَ الذكرى لديارِ الأحبةِ ووحشتها العامل المشترك بينَ النصين، رغم البعد الزماني والمكاني بينهما.

ويساهمُ النص الغائب في صناعةِ النص الحاضر لأبي الأسود الدؤلي* الذي يقول:[١٧:ص٩٠] (الطويل)

ألم ترَّ أني والتَكرم شيمتي وكلُ امرئٍ جارٍ على مَا تعَودَا

فنقلَ عجز البيت بصورةٍ مباشرة من قولِ حاتم الطائي:[١٨:ص١٧] (الطويل)

تَقول ألا أمسك عليكَ فإنني أرَى المَالَ عند المُمسكين مُعبَدا
ذَريني وَحالي إنَ مَالك وافرٌ وكلُّ امرئٍ جارٍ على مَا تَعوداَ

* أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني. رسم له الإمام علي بن أبي طالب(ع) بعض أصول النحو فوضع أول قواعد علم النحو، وهو عند أكثر الرواة أول من نقط المصحف وكان من فصحاء بني كنانه وثق به الخلفاء والأمراء في أمور اللغة فكان متبحراً بها، وهو من الفقهاء والأعيان والفرسان والتابعين توفي في البصرة سنة ٦٩ للهجرة.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

الأبيات تؤكد سمة الكرم ويصفها الشاعر بأنها من سجاياه وصفاته التي لا يمكن أن يتخلى عنها وأّن لكل إنسان مزاياه الخاصة به وطباعه، ويبدو أن صفة التعودَ على الكرمِ وسعة اليد لم تكن خاصة به وحده فقد شابه حاتم الطائي فيها ليكون حب العطاء والاستمرار عليه النواة الدلالية بين الماضي والحاضر في الأبيات السابقة.

ويعتمدُ سابق البربري* على ألفاظِ وافكارِ الشاعر المخضرم في بناءِ نصه وإيصال قصده فيقول:[١٩:ص١٠٧] (الطويل)

وإنَّ جَاءَ مَا لا تَستطيعَان ِ دفعَهُ فَلا تَجزَعا مما قَضَى الله واصْبِرا

وهو شبيهٌ لبيتِ النابغة الجعدي الذي يقولُ فيه :[٢٠:ص٥٥] (الطويل)

وإنّ كانَ أمرا لا تُطيقانِ دَفعه فَلا تَجزعَا مما قَضى الله واصْبِرا

يظهرُ مما سبق أن لا وجودَ لنصٍ نقي وإنما هو مجموعة من مقولاتِ الآخرين المتمثلة على صورةِ بقايا نصوص نائمة في الذاكرةِ، تتسرب بصورة مباشرة أو غير مباشره إلى النصوصِ الحاضرة على مستوى الفكرة أو العبارة. ولكن الكشف عن نقاطِ الاختلاف والتقاطع بين النصوص تتطلبُ قارئا واسعَ الثقافة ومتنوعَ الذاكرة[٢١:ص٢١]

٢,٣.النقل غير المباشر من شعراء ما قبل الإسلام: ويُراد به أنَّ يستعينَ الشاعر بجزءٍ من البيتِ، أو بعضٍ من الفاظهِ أو معناه. فيحورها بما يتناسب مع السياق، ويحقق الفكرة. "فالشاعر في حاجةٍ دائمةٍ إلى مفارقةِ ذاته ليلتحم بتشكلات المرجع. فيفارق مسكنه ليعيشَ نوعا من اللجوءِ اللغوي والفكري في بيوتِ الآخرين متلذذا بإقامته المؤقتة، مستعينا بها في إنشاءِ خطابا جديدا".[٨:ص٢٢٤]

كقول ابن رشيق** واصفا انشغاله بالمحبوبةِ وقد أحاطه الخطر :[٢٢:ص٤٨] (الكامل)

وَلَقد ذَكرتُك في السَفينةِ والرّدَى مُتوقعٌ بتلاطمِ الأمواجِ

والجَو يَهطلُ والرياحُ عَواصفٌ والليلُ مسودٌ الذوائب داجِ

وعلى السواحلِ للأعادي غارةٌ يتوقعون لغارةٍ وهياجِ

وَعلتْ لأصحَاب السَفينةِ ضَجةٌ وأنّا وذكرك في ألذِّ تناجِي

تتماثلُ الأبيات مع فكرةِ عنترة بن شداد في انشغاله بالمحبوبةِ وقت الحرب فيقول:[٢٣:ص١٧] (الكامل)

وَلَقد ذَكرتُك والرماحُ نَواهلٌ مني وبيض الهند تَقطرُ من دَمِي

فَوددتُ تقبيلَ السيوف لأنّها لمعتْ كبارقِ ثغرك المُتبسمِ

---

* أبو سعيد سابق بن عبد الله البر بري من الشعراء الزهاد والبربري لقب له ولم يكن من البربر. كثيرا ما كان يفد على عمر بن عبد العزيز فيستنشده عمر، فينشده من مواعظه عرف بتمكنه من ناصية الكلام والفقه وغالبا ما دار شعره حول النصح. توفي سنة ١٠٠ للهجرة.

** الحسن بن رشيق القيرواني، أبو علي، أديب وناقد وباحث وله ميل كبير الى كتابة الشعر ونقده، رحل إلى القيروان في ٤٠٦ وله مؤلفات ادبية كثيرة وديوان شعر وأغلب شهرته في مجال الأدب والنقد مع أنه كانت له صلة قوية بالفقهاء والمحدثين والعلماء في عصره أخذ عنهم وشاركهم في العديد من الآراء الفقهية فشرح (موطأ مالك) وكانت له جهود مثمرة في مجالات ومعارف متنوعه ومنها الفقه حتى وفاته ٤٦٣ للهجرة.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

جاءت أبيات ابن رشيق بوزنٍ مماثل، وموسيقى مشابهه لأبيات عنترة. وكأنه يريدُ أنَّ يأخذَ السامع رحلة عبر الزمن يتجول في الماضي ثم يعود به، فذكرُ الحبيبةِ وقتَ الخطر، والانشغالِ بها هو العامل المشترك بين أبيات الشاعرين على اختلافِ الزمان والمكان بينهما.

ويقولُ ابن الدهان* مادحا صلاح الدين الايوبي :[٢٤:ص٣٢٠] (الطويل)

كم وقفةٍ لك في الوغى محمودةٍ ابدا وكم جودٍ حميد الموقع
والطيرُ من ثقةٍ يأكل مشبعٍ تبعت جيوشك فوق غابٍ مُشبعِ

الشاعرُ تلاعبَ جزئيا بالنصِ الغائب لكنه حافظ على المعنى مقتبسا الصورة من قولِ النابغة الذبياني في مدحِ عمرو بن الحارث حين يقول:[٢٥:ص١٤] (الطويل)

إذا مَا غزُوا بالجيشِ، حلقَ فوقُهم عصائبُ طيرٍ، تهتَدي بعصَائبِ

صورَ الشاعرُ الطيور الجارحة من النسور والعقاب وغيرها محلقة فوقَ رؤوسهم جماعات جماعات لتظفر بالقتلى من الاعداءِ فهي واثقة من احرازِه النصر فتتبعه. فاستعان ابن الدهان بهذه الصورة وضمنها شعره لكن بألفاظه وأسلوبه الخاص.

ويقول الشريف المرتضى** :[٢٦:ص٢٣٥] (الكامل)

أهلا بطيفِ خَيال مَانعةٍ لنَا يقضِي، ومعضلةٍ علينا في الكَرى
مَا كانّ انعمنَا بها من زَورةٍ لو بَاعدت وقتَ الورود المصدرَا

يرحبُ الشاعر بزيارةِ الحبيبة في طيفِ خياله، ولكنه يشكو من قصرِ تلكَ الزيارة ويرجو إطالة وقتها. فيمزجُ بين فرحة الرؤيا وحسرة اللقاء، حتى وإن كانت مجرد رؤيا خيالية لا تتعدى الآمال الحسية. وقد تحمل الأبيات إشارة إلى أنَّه محاط برقابةٍ مجتمعية، وأعراف دينية تمنع اللقاء بينهما في الحقيقةِ فيلجأ إلى الخيال. ليمثل الشعر في هذه الحالة بؤرة صراع بين قيود الدين والمجتمع واختلاجات العاطفة مستعينا بقول قيس بن الخطيم وشكواه من ذات الموضوع فيقول:[٢٧:ص٥٦] (الكامل)

مَا تمنَعي يَقظي فقدْ تُؤتينهُ في النّومِ غير مصردٍ محسوبِ

فتتوافقُ أبيات الشريف المرتضى في معناها مع بيتِ قيس بن الخطيم. ويقول شوقي ضيف في هذا: "أنهم يبدؤون ويعيدون في الفاظٍ ومعاني واحده، ويجرون على طرازٍ واحد، طراز تداولته مئات الألسنة بالصقلِ والتهذيب، فكل شاعر ينقحُ فيه ويهذبُ ويضفي جهده حتى يثبت براعته"[٢٨:ص٢٢٦].

* عبد الله بن اسعد بن علي أبو الفرج الحمصي، شاعر وكاتب وفقيه ولد في الموصل ٥٢٢ هجرية، وأقام بمصر وانتقل إلى الشام، له ديوان شعر وكتاب في (شرح الدروس) توفي ٥٨١ هجرية.

** علي بن الحسين بن موسى بن محمد أبو القاسم من أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) نقيب الطالبين وأحد أئمة علم الكلام والأدب والشعر، مولده ووفاته في بغداد، له تصانيف كثيرة في الفقه والأدب منها (طيف الخيال) و(الغرر والدرر) و(تنزيه الأنبياء) وغيرها وله ديوان شعر، توفي ٤٣٦هجرية.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

٤.شعراء العصر الإسلامي والاموي

يعدُّ ظهور الإسلام الحدث الكبير الذي أثار تغيرات جذرية في حياة العرب. ومثل الشعر العامل المهم الذي انعكست عليه ظلال الحياة الجديدة المتصلة روحيا وفكريا وعقائديا بالإسلام. غير حياتهم وارهف إحساسهم، وإن كان البعض يرى أنَّ شعر هذه المرحلة امتداد للشعر الجاهلي، فلم يهجر الكثير من الشعراء ما درجوا عليه من أسلوب ولغة ونهج لكن هذا لم يمنع من ظهور فنون أدبية جديدة، وأنماط شعرية مبتكره متأثرين ببلاغة القرآن وفصاحته.[٢٩:ص٦-٨]

وتأثر الشعراء الفقهاء بشعراء تلك الحقبة وبدا واضحا ذلك في شعرهم. وقد تنبه القدماء إلى التأثر والتأثير بين الشعراء وتشابه الأفكار، وتقارب الرؤى، فلم يمنع الفارق الزمني من تماثل التجارب الإنسانية، فعبر كل شاعر عن تجربته بطريقته الخاصة عما يجول في خاطره .وقد أشار ابن الاثير إلى ذلك بقوله:" من المعلوم أن خواطر الناس، وإن كانت متفاوتة في الجودة والرداءة، فإنَّ بعضها لا يكون عاليا على بعض أو منحطا عنه إلا بشيء يسير، وكثيرا ما تتساوى القرائح والأفكار في الإتيان بالمعاني ،حتى أنَّ بعض الناس قد يأتي بمعنى موضوع بلفظ ثم يأتي الآخر بعده بذلك المعنى، واللفظ بعينهما من غير علم منه بما جاء به الأول، وهو الذي يسميه أرباب هذه الصناعة وقوع الحافر على الحافر"[٣٠:ص١/٥٩] فاستعان الشعراء الفقهاء بشعر هذه الحقبة وشكل جزء من نصوصهم ووظفوا ذلك الشعر عبر:

١,٤.تداول الالفاظ والمعاني بصورة مباشرة:

كقول أبي الأسود الدؤلي:[١٧:ص١٣٤] (الطويل)

وقد أرسَلوا أفراطهم فتأثلُوا قليبا نزوعا لا تَبُلُّ العراقيا

وأمسَى الألى كانوا يحبونَ صُحبتي أحبوا –ولم أذنبْ إليْهم – فِراقيا

نقل الشاعر صدر البيت كما هو من دون تغيير في قول الشاعر المخضرم أبي ذؤيب الهذلي الذي عاصر أبا الأسود بجيل واحد ومرحلة واحدة، وقد يكون مرجع التشابه تقارب الحياة الاجتماعية والثقافية وتشابه الأفكار والرؤى فيقول ابو ذؤيب:[٣١:ص١٠٧] (الطويل)

يَودّونَ أنّ يفدونني بنفوسِهم ومَثنى الأواقي والقيانِ النَواهدُ

وقد أرسَلوا أفراطُهم فتأثلوا قُليبا سَفاها كالإماءِ القواعدِ

ويلتمس الشعراء الفقهاء في بناء نصوصهم استدعاءهم لبعض نصوص المدونة الشعرية الأموية كقول أبي بكر الشبلي* الذي تمثل بقول قيس ليلى وكان شديد الإعجاب به حتى عدّه قدوته في الحب ومثالا في التلبس بالعشق. ومعروف شيوع شعر الغزل في العصر الأموي لما اقتضته طبيعة الحياة في ذلك العصر، يقول الشبلي:[٣٢:ص٧٠] (الطويل)

لقد فَضلت ليلى على الناسِ كالتي على ألفِ شهرٍ فضلت ليلةُ القدرِ

* جعفر بن يونس المشهور بدلف بن جحدر الشبلي ولد في سامراء عام ٢٤٧وهو من فقهاء وعلماء المذهب المالكي، وله شعر جيد جمعه الدكتور كامل مصطفى في ديوان، توفي في بغداد ٣٣٤للهجرة.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

فيا حبها زِدني جَوى كُل ليلةٍ ويا سلوةَ الأيامِ موعدكِ الحَشر

نقل البيت الشعري الأول بشكل مباشر من قول قيس (مجنون ليلى):[٣٣:ص٧٠] (الطويل)

ألا زَعمت ليلى بأنّ لا أحبها بَلى ولياليِ العَشر والشَفعِ والوتر
بَلى والذي نَادى من الطُورِ عبدَه وعَظم أيامَ الذبيحةِ والنحرِ
لقد فَضلت ليلى على الناسِ مثلما على ألفِ شَهرٍ فُضلت ليلةِ القدرِ

لا يشكل النقل المباشر السمة الجمالية في النص لوحده، فهناك أيضا تمكّن الشاعر من الإيقاع وجمالية التركيب واللمسات الأسلوبية الخاصة، وعمق العاطفة التي ساهمت في تمثيل الحالة الشعورية والتجربة الخاصة المعاشة ضمن أحداث ومواقف جديدة.

وتمثل الشبلي أيضا بالبيت الاخير من قصيدة (أيا هجر ليلى) لقيس الذي يقول فيها :[٣٢:ص٨٥] (الطويل)

أيا هَجر ليلى قد بلغتْ بيَ المدى وزدت على مَا لمْ يكن بلغ الهَجر
عَجبتُ لسعي الدَهر بيني وبينَها فلما انقضى ما بَيننا سَكن الدَهر
فَيا حبها زِدني جَوى كُل ليلةٍ ويا سلوةَ الأيامِ موعدكِ الحشرُ

يتكرر مشهد الألم والفراق في شعر العاشقين لكن ما يميز هذه الأبيات انها تحرك الشوق لدى المتلقي وتجعله يعيش الموقف بكل انفعالاته. وليمثل اسم الحبيبة المذكور في النص (ليلى) عاملا مساعدا لإبراز حالة الحزن، ولما تختزنه الذاكرة من معلومات حول قصة الحب العظيمة لمجنون ليلى الذي ارتبط اسمه باسمها.

إنَّ التعامل مع معطيات التراث والقدرة على توظيفها بروح جديدة وأسلوب فني وإبداعي هو ما يمنح الشعر طاقة تعبيرية، عبر أدوات تصويرية جديدة تجمع الماضي والحاضر حتى آفاق المستقبل.

٢,٤. تداول الألفاظ والمعاني بصورة غير المباشر

كقول ابن الكيزاني* في الغزل والحب الإلهي:[٣٤:ص٦٩] (الوافر)

اصرفُوا عَني طَبيبي ودعُوني وحَبيبي
عَللوا قَلبي بذكراهُ فقد زادَ لَهيبي
طَاب هتكِي في هواهُ بينَ واشٍ ورقيبِ
لا أبالي بفواتِ النفسِ ما دَام نَصيبي

يصور الفقيه الشاعر تجربته في الحب الالهي التي وصل بها إلى مرحلة فاقت مراحل العشاق حتى أصبحت علته لا يداويها طبيب، فألمه في الروح لا في الجسد ويشخص دوائه بذكر صفات من يحب وشرح أحواله، وهومن شدة الحب لا يصغي إلى العاذل من واشي أو رقيب، فهو مستعد للتضحية من أجل هذا الحب بنفسه. وبهذا الوصف لتجربته الروحية وانفعاله النفسي من حديث الوشاة يشابه ما صوره عروة بن حزام بقوله:[٣٥:ص٤٣] (الطويل)

* محمد بن إبراهيم بن ثابت بن فرج الكناني المعروف بابن الكيزاني تنسب إليه الكيزانية (من طوائف المتصوفة في مصر) فقيه معتزلي وواعظ وشاعر مصري له ديوان شعر يغلب عليه الزهد وفاته بالقاهرة ٥٦٢هجرية.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ألا أيُها الواشي بعفراءَ عندنَا عَدِمتُك مِن واشٍ ألستَ تراني؟
ألستَ ترى للحُبُ كيف تخللت عناجيجُه جسمي، وكيف براني ؟
لو أنّ طبيبَ الأنسِ والجن داويا الذي بي من عفراءَ مَا شفياني

ينتهج الكيزاني أساليب القدماء في صياغة قصيدته الغزلية ويبرع في تزويقها بانتقاء الفاظه الذي تظهر عاطفته المستوحاة من معنى أبيات عروة بن حزام.

ويقول أبو الفوارس* مادحا السديد ابن المرخم:[٣٦:ص٣/٦٠] (الطويل)

إنَّ الأميرَ شهابِ الدين غرتَّهُ تهدي الهُداةَ ونجم الليل مستترُ
من معشرٍ إن رضوا فالناس قاطبةَ تَرضى وإن سَخطوا فالحبل منتشرُ

يصف الشاعر جمال ممدوحه ونور وجهه الذي يهتدى به في الظلام وهو من معشر كرام فرضاهم يعني رضى الناس جميعا. والأبيات تشير إلى قول جرير في هجاء الراعي النميري:[٣٧:ص٦٤] (الكامل)

إذا غضَبت عليكَ بنو تَميم حسبتَ الناسَ كُلهم غِضابا

فالشاعر ابو الفوارس هدم بنية النص القديم واعاد صياغتها بسياق جديد، وحول غرضه من هجاء الى مدح. محافظا على معناه العام فالغاية من رصف أبيات الآخرين أو معناها توليد قدرة على الإبداع والتصوير "إذ ليس لأحد من أصناف القائلين غني عن تناول معاني من تقدمه والصب في قوالبهم ولكن عليهم أن يكسوها ألفاظا من عندهم ويبرزوها من تآليفهم ويوردوها في غير حلتها الأولى"[٣٨:ص١٤٦]

وتتجلى الحكمة في شعر الشريف المرتضى فيحمل طابعا إنسانيا وبعدا وجدانيا مؤثرا لضياع القيم الأخلاقية في المجتمع، يقول في هجاء بعض أعدائه:[٢٦:ص١/٢٧٥] (المنسرح)

لا درَّ في الناسِ دَرَّ مقتصدٍ يأخذُ من رزقِه الذي اقتربا
يتركُ أن يحمي الذمارَ إذا ضِيمَ ويحمي اللُجينَ والذهبا

والنص متداخل في معناه مع قول أبي الأسود الدؤلي:[١٧:ص٣٩٧] (الطويل)

ذَهبَ الرجالُ المقتدى بفعالِهم والمنكرُون لكل أمرٍ مُنكرِ
وبقيتُ في خلقٍ يزكى بَعضهم بعضا ليدفع معورٌ عن معورِ
فطنٌ لكل مصيبةٍ في مالِه فإذا أصيبَ بعرضِه لم يشعرِ

من بين السجايا التي افتخر بها العرب على غيرهم صيانة العرض والدفاع عنه. أما الآن فالشاعر يستنكر ما آل إليه الحال من جعل المال أغلى من العرض وأولى بالصيانة من غيره، فالحفاظ على القيم الأخلاقية والدعوة لصيانتها والدفاع عنها هي صفة اتفق عليها كل الشعراء الفقهاء فتمثل غايتهم وأعلى أهدافهم التي يرجون تحقيقها في مجتمعاتهم على اختلاف أزمانهم. ومنه قول أبو الفوارس:[٣٦:ص٢/١٤٤] (الطويل)

هو المرءُ أما مالهُ فمرزأُ شتيتٌ وأما عرضهُ فسليمُ

* سعد بن محمد بن سعد الصيفي التميمي شاعر مشهور في بغداد، وأبو الفوارس لقب اشتهر به، غلب عليه الأدب والشعر وله ديوان شعر إضافة إلى نشأته فقيهاً، توفي في بغداد ٥٧٤ هجرية.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

ويقول في موضع آخر :[٣٦:ص٣/٣٩٢] (الطويل)

هو المرءُ أما ماله لصفاته بخلٌ وأما عرضُه فحرامُ

فنقص الأموال لا تقلل من قيمة الإنسان لكن فقدانه عرضه أو إصابته بنقص أو عيب فيه يجلب له العار. والأقوال نابعه من تجارب إنسانية شاعت على الألسن وسبقها بهم الكثير من الشعراء.

ولم يكن الشاعر الفقيه مقلدا أعمى للتراث الشعري وإنما عبر عن وجهة نظره مع تحريف لغوي لم يشوه الهيكل ويبهم المعنى بل انصهر داخل النص وصار جزءا من البنية التركيبية للنص الحاضر.

٥.شعراء العصر العباسي

جمع الشعر العباسي بين بلاغة البداوة وفصاحتها، وبين إبداع الحضارة ورقتها. فقد ساهم التوسع الحضاري والانفتاح على عوالم وثقافات مختلفة الشعراء على مزيد من الإبداع والتألق، وحظوا بدعم مادي ومعنوي من الخلفاء العباسيين، وتمتعوا بحرية الغوص في موضوعات واغراض مختلفة قديمة وجديدة حتى عد هذا العصر وبحق من أزهى عصور الأدب .[٣٩:ص٣١٧]

١,٥ .محاكاة مباشرة للالفاظ والمعاني

وصف أبي بكر الشبلي الكرم الإلهي قائلا :[٣٢:ص٦٩] (الطويل)

تَعودَ بَسط الكَف حتى لو أنّهُ ثَناها لقبضٍ لم تُجبهُ أناملُهُ

تَراه –إذا مَا جئته–مُتهللا كأنّك تُعطيه الذي أنتَ آملهُ

ولَو لمْ يكنْ في كفهِ غير رُوحه لجاد بها ، فليتقِ الله سَائلهُ

وهو يتمثل بقول أبي تمام في مدح المعتصم :[٤٠:ص٤١٦] (الطويل)

ولَو أنَّ ما في كفهِ غير نفسه لجادَ بها فليتقِ الله سائلهُ

استعار الشاعر الفقيه من أبي تمام ذات التراكيب والوزن والقافية لشد القارئ وإغرائه بالاستماع وقد أحسن الاختيار فمثل الكرم في أبهى صورة وأروع نظم.

ولا ينشأ الإبداع من فراغ وإنما هو عملية تبادل وتفاعل بين الشعراء، ومن ذلك قول ابن الدهان في رثائه لأخ السلطان:[٢٤:ص٢٠٦] (الكامل)

ما كنتُ احسبُ قبل دَفنكَ في الثَرى أنَّ المكارمَ في التُّراب تُغيَّبُ

ما العيشُ بعدكَ بالهنِي وإنَّما من عاشَ بعدكَ بالحياة معذبُ

وقد نقل البيت من قول المتنبي في رثاء محمد التنوخي:[٤١:ص٣٣٨] (الكامل)

مَا كنتُ أحسبُ قبل دفنِك في الثرى أنَّ الكواكبَ في الترابِ تغورُ

استعان الشاعر بالبيت ونقله مع تحوير بسيط لبعض الفاظه وتماثل في غرضه (الرثاء) وجرسه الموسيقي ليؤكد موقفه الشعوري المشابه لمن سبقه.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

٢,٥.محاكاة الألفاظ والمعاني بصورة غير المباشر

وتمثل بقول القاضي عبد الوهاب البغدادي*:[٤٢:ص٢٦] (الطويل)

ونَائمةٌ قبلتَها فتنبهتْ فقَالت تَعالوا فاطلبوا اللصَ بالحدِ
فقلتُ لَها: إنّي فديتُكِ غاصبٌ ومَا حكمُوا في غاصبٍ بسوى الرَّدِ
خُذيها وكُفي عن أثيمٍ ظَلامة وإنّ أنتِ لم ترضَي فألفا على العدِّ
وقالتْ: ألم أُخبر بأنَّك زاهدٌ؟ فقلتُ: بلى، مازلتُ أزهدُ في الزهدِ
فبَاتت يَميني وهيَّ هميان خِصرَها وباتت يَساري وهي واسِطة العَقدِ

الشاعر الفقيه يصور حوارية بينه وبين محبوبته في لقاء بينهما من نسج خياله، فالأعراف المجتمعية والدينية لا تسمح بلقائهم في الحقيقة. ويبدو واضحا توظيفه لمصطلحات المنظومة الدينية التي تؤكد عمق مشاربه الفقهية واختلاطها بآماله الحسية واختلاجاته العاطفية مستعينا بقول ابن الرومي الذي يقول:[٤٣:ص١/٤٠٠] (الطويل)

ألا قَاتلَ الله المَنايا ورَميها منَ القومِ حَبات القلوبِ على عمدِ
تَوخى حِمامَ المَوت أوسط صِبيتي فلله كيفَ اختَار واسِطَة العَقدِ

الأبيات تثبت براعة القاضي البغدادي في هدم بنية النص القديم وإعادة صياغتها بسياق جديد مستعملا الإشارة اللفظية الدالة (واسطة العقد) ونقلها من غرض الرثاء إلى غرض الغزل. وجعلها ملتحمة بالسياق مؤدية المعنى المطلوب وذلك دليل على موهبة الشاعر، وتمكنه من الاستعانة بالموروث وتسخيره في خدمة الغرض. "فتختلف الغاية الجمالية لعمليات تداخل النصوص من أثر إلى آخر ومن كاتب إلى آخر إذ لا يتحدد الاتصال بالمرجع كعلاقة وفاق، بل غالبا ما يطرح علاقات وأغراض أخرى تعيد بناء المعنى الراسخ في ذاكرة الجماعة إلى معنى آخر يمثل الإضافة الجوهرية للنص الجديد".[٨:ص٢٢٤-٢٢٥]

وأجاد الشعراء الفقهاء في توظيف المعاني بعد أن أخذوها من مصادرها الأولى وأعادوا صياغتها بصور جديدة اسعفتهم ذاكرتهم ورفدتهم مخيلتهم بمعنى جديد ومنه قول ابن رشيق :[٢٢:ص١٦٨] (البسيط)

كل إلى أجلٍ والدهر ذو دُوَلٍ والحرصُ مخيبةٌ والرزقُ مقسومُ

وهو يستعين بالحكمة الواردة في قول أبي العتاهية:[٤٤:ص٤٧٠] (البسيط)

الدَّهرُ ذو دولٍ والموتُ ذو علَلٍ والمرءُ ذو أملٍ والناسُ أشباهُ
ولمْ نَزل عبرٌ فيهُن مُعتبرٌ يَجري بها قدرٌ واللهُ أجراهُ

الأبيات قائمة على المقابلة والطباق ويعبر كلا الشاعرين عن نظرته للحياة ويعرضان على السامع حقيقة تقلب الأحوال في الدنيا ويدعوان الى عدم التعلق بزينتها فكل إنسان له رزق مقدر وقدر محتوم وقد حققت الأبيات

* عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي، أبو محمد قاض وفقيه من فقهاء المالكية وله نظم ومعرفة بالأدب والشعر ولد ببغداد ثم ارتحل إلى الشام والتقى بأبي العلاء وتوجه إلى مصر وعلت شهرته فيها، له مؤلفات في فقه المالكية منها (التلقين) و(عيون المسائل) توفي في مصر ٤٢٢هجرية.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

غايتين (إمتاعية وإقناعية) فالأولى أثرت على القلوب والثانية على العقول فقويت حجت الشاعر ابن رشيق وتأكد رأيه وتجمل منظومه، فصاغ شعره بطريقته الخاصة وبألفاظ وتراكيب مختلفة لكن بمعنى مشابه لأبيات أبي العتاهية.

٦.النتائج

قد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج:

1- استعان الشعراء الفقهاء ببعض الأفكار والمعاني والصور من شعراء آخرين وتشاركوا معهم الحدود الزمانية والحاجات النفسية ذاتها وقد تدفعهم المتطلبات المرحلية إلى النسج على منوال الآخرين وتبادل همومهم لتشابه تجاربهم.

2- للمرجعية الأدبية مشاركة واضحة وفاعلة في نسج النصوص الشعرية للشعراء الفقهاء بصورة مباشرة أو غير مباشرة عبر العصور ولم يكن الشاعر الفقيه مقلدا أعمى للتراث الشعري الأدبي وإنما استعان ببعض الألفاظ والأفكار وطورها وأضاف عليها وأظهرها بحلة جديدة تتوافق مع مشاعره وأحاسيسه.

3- لجأ الشاعر الفقيه أحيانا إلى هدم بنية النص وتقديمها بصورة جديدة وغرض جديد ليثبت بها براعته وتمكنه اللغوي من تحوير الصورة وتغيير الفكرة بما يخدم غايته ويحقق مطلبه وتحقق ذلك في شعر القاضي عبد الوهاب البغدادي.

4- لم تكن القيم والمبادئ الأخلاقية غائبة عن النصوص الشعرية التي حرص الشعراء الفقهاء على بثها بين طيات شعرهم إمانا منهم بأهمية الشعر وأثره الفاعل في تغيير سلوك الأفراد فكانت أشعارهم تتراوح بين الإقناع والامتاع لتخاطب العقل وتحاكي العاطفة في آن واحد.

CONFLICT OF IN TERESTS

There are no conflicts of interest

المصادر

[١] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **الحيوان**، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية–بيروت،ج٣، ط٢،٢٠٠٣م.

[٢] ضياء الدين ابن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية–بيروت،ج١ ،١٩٩٠م.

[٣] فاطمة الطبال، **النظرية الالسنية عند رومان جاكبسون**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع – بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

[٤] رولان بارت، **مبادئ في علم الدلالة**، ترجمة:محمد البكري،دار الحوار– اللاذقية، ط٢ ، ١٩٨٧م.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[٥] حمد سالم سعد الله،**ماوراء النص،دراسات في النقد المعرفي المعاصر**،جدار للكتاب العالمي–عمان، ط١، ٢٠٠٨م.

[٦] محمد صابر عبيد ووسن البياتي، **المتخيل الروائي–سلطة المرجع وانفتاح الرؤيا**، عالم الكتب الحديث– الاردن، ط١،٢٠١٥م.

[٧] محمد عابد الجابري، **أزمة ثقافية ...أم ازمة عقل**ن مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب –القاهرة، مجلد٤،عدد٣ ، ١٩٨٤م.

[٨] فتحية كحلوش،**الخطاب الشعري المعاصر وسلطة المرجعيات**، مركز الكتاب الأكاديمي–عمان،ط١، ٢٠١٩م.

[٩] عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي، **مقدمة ابن خلدون**، دار القلم – بيروت، ط٥ ،١٩٨٤م.

[١٠] صلاح عبد الصبور، **قراءة جديدة لشعرنا القديم**، منشورات إقرأ –بيروت،(د–ط)،(د–ت).

[١١]علي الرضا الحسيني، **موسوعة الاعمال الكاملة للأمام محمد الخضر حسين**،دار النوادر–سوريا، ط١،٢٠١٠م.

[١٢] محسن اطميش، **دير الملاك–دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر**، دار الرشيد– بغداد،١٩٨٢م.

[١٣] فاروق احسان،**ثقافة المتنبي**، دار العلم للنشر– الاسكندرية، ط١،٢٠٠٨م.

[١٤] علي عشري زايد،**استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر**،دار الفكر العربي– القاهرة، ١٩٩٧م.

[١٥] امرئ القيس حندج بن حجر بن الحارث الكندي،**ديوان امرئ القيس**، تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم،دار المعارف– القاهرة ،ط٤ ،١٩٨٤م.

[١٦] عروة بن أذينه الليثي الكناني،**شعر عروة بن اذينه**،جمعه يحيى الجبوري، دار القلم–الكويت،ط٢،١٩٨١م.

[١٧] أبو الأسود ظالم بن عمرو الكناني البصري،**ديوان أبي الاسود الدؤلي**،تحقيق:محمد حسن آل ياسين ،منشورات دار الهلال – بيروت،ط٢، ١٩٩٨م .

[١٨] حاتم بن عبد الله العدوي الطائي،**ديوان حاتم الطائي**،شرح وتقديم: أحمد رشاد،منشورات دار الكتاب العلمية- بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م .

[١٩] سابق بن عبد الله البربري،**شعر سابق البربري**، جمعه:بدر ضيف،دار الوفاء– الاسكندرية، ط١، ٢٠٠٤م.

[٢٠] النابغة الجعدي الكعبي،**ديوان النابغة الجعدي**،تحقيق:واضح الصمد، دار صادر– بيروت،ط١ ، ١٩٩٨م.

[٢١] جوليا كريستيفا،**علم النص** ترجمة: فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر– المغرب، ط١، ١٩٩١م.

[٢٢] أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، **ديوان ابن رشيق**،تحقيق: عبد الرحمن ياغي، دار الثقافة– بيروت، ١٩٨٩م.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[٢٣] عنترة بن شداد بن فراد العبسي، **ديوان عنترة بن شداد**، شرح: أحمد طماس، دار المعرفة– بيروت، ط٤،٢٠٠٢م.

[٢٤] أبو الفرج مهذب الدين الموصلي، **ديوان ابن الدهان**، تحقيق: عبد الله الجبوري، مطبعة المعارف– بغداد، ط١، ١٩٨٦م.

[٢٥] ابو امامه زياد بن مرة الذبياني، **ديوان النابغة الذبياني**، تحقيق: حمدو طماس، دار المعرفة–بيروت، ط٢،٢٠٠٥م.

[٢٦] الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي، **ديوان الشريف المرتضى**، تحقيق: مضر سليمان الحسيني، مؤسسة الاستانة الرضوية – مشهد، مج٣، ١٤٤١.

[٢٧] قيس بن الخطيم بن عدي الاوسي، **ديوان قيس بن الخطيم**، تحقيق: إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، مطبعة العاني – بغداد،ط١ ،١٩٦٢م.

[٢٨] شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي**، دار المعارف – القاهرة (د–ط)،(د–ت).

[٢٩] يحيى الجبوري، **الإسلام والشعر**، مطبعة الارشاد – بغداد ،١٩٦٤م.

[٣٠] ضياء الدين ابن الاثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق: محمد الحوفي وبدوي طبانه ،مطبعة نهضة مصر – القاهرة ،(د –ط)،١٩٦٠م.

[٣١] أبو ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي، **ديوان أبي ذؤيب الهذلي**، تحقيق: احمد خليل الشال، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية –بورسعيد،ط١،٢٠١٤م.

[٣٢] جعفر بن يونس،**ديوان أبي بكر الشبلي**، تحقيق وجمع: كامل مصطفى الشيبي، مجمع العلمي العراقي، ط١،١٩٦٧م.

[٣٣] قيس بن الملوح، **ديوان قيس بن الملوح –رواية أبي بكر الوالي**،دراسة وتعليق: يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية –بيروت،ط١، ١٩٩٩م.

[٣٤] شمس الدين محمد بن إبراهيم الأنصاري، **ابن الكيزاني حياته وديوانه**، تحقيق: علي صادق حسين، دار المعارف – مصر،(د–ط)،(د–ت).

[٣٥] عروة بن حزام بن مهاجر الضني، **ديوان عروة بن حزام**، جمع وتحقيق: انطوان محسن، دار الجبل– بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

[٣٦] سعد بن محمد التميمي، **ديوان شهاب الدين أبو الفوارس**، تحقيق: مكي السيد وشاكر هادي،منشورات وزارة الاعلام العراقية،ج٣، ١٩٧٥م.

[٣٧] جرير بن عطية الكلبي،**ديوان جرير**،تحقيق: نعمان محمد امين،دار بيروت للطباعة والنشر– لبنان،١٩٨٦م.

[٣٨] أبو هلال العسكري،**الصناعتين**،تحقيق:علي محمد البجاوي،دار إحياء الكتب العربية–القاهرة ،ط١،١٩٥٢م.

[٣٩] ياسمينه محمد محمود، **خصائص الشعر في العصر العباسي**، مجلة وادي النيل للدراسات –القاهرة،العدد ٨، اكتوبر، ٢٠١٥م.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq

[٤٠] أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، **ديوان أبي تمام الطائي**،وضعه وفسر الفاظه: محي الدين الخياط، مكتبة محمد علي صبيح – مصر ،١٩٤٢م.

[٤١] أبو الطيب احمد بن الحسين الجعفي،**ديوان المتنبي**،تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، دار المعارف– القاهرة ، ١٩٣٨م.

[٤٢] عبد الوهاب بن علي البغدادي،**ديوان عبد الوهاب البغدادي** ،جمع وتحقيق: عبد الحكيم الانيس،دار البحوث والدراسات الإسلامية– دبي،ط١ ،٢٠٠٤م.

[٤٣] أبو الحسن علي بن العباس،**ديوان ابن الرومي**، شرح:احمد حسن،دار الكتب العلمية–بيروت،ط٣، ٢٠٠٢م.

[٤٤] إسماعيل بن قاسم العنزي،**ديوان أبي العتاهية**،دار بيروت للطباعة والنشر –بيروت،١٩٨٦م.

Journal of the University of Babylon for Humanities (JUBH) is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License
Online ISSN: 2312-8135 Print ISSN: 1992-0652
www.journalofbabylon.com/index.php/JUBH Email: humjournal@uobabylon.edu.iq